ذكرى الوطن والاهل (شعر منثور)

« المجلة » السنة التاسعة ، الجزء الثاني ، مارس 1923

سلام على الوطن الحي اذا كان الوطن حياً
سلام على الوطن الميت اذا كان الوطن ميتاً
سلام على الاهل احياء
سلام على الاهل امواتاً
سلام على ربوع ابصرت فيها نور الحياة للمرة الاولى
ربوع تحت سمائها ترعرعت وفي ظلال خمائلها نموت
ربوع تشربت نفسي انفاسها فأحببتها من كل قلبي ومن كل جوارحي
ربوع فارقتها ، مفارقا فيها آمالا هي شطر من نفسي وقسم من حياتي
ربوع تركت بين هضباتها وأوديتها دمعات وابتسامات وتركت بقلبي غصات اليمات .

سلام امتزجت عباراته بالعبرات وتمازجت الفاظه بالزفرات ، تترجمه النفس مع تموجات النسيم تأوهات ، وتصعده الروح بين طيات الأثير تنهدات.

وهل تخبىء الغربة للغريب غير غصات الذكرى وانات الحنين ؟
ولكن هل كل بعيد عن وطنه غريب ؟ وهل كل غريب مشتاق ؟
يستوطن الناس غريب الاوطان وليس لي الا وطن .
تلك الرياض الا تزال زاهرة ؟
تلك المنازل الا تزال عامرة ؟
تلك المياه الا تزال جارية ؟
تلك المناهل الا تزال متدنقة ؟
الأنهر الا تزال متفجرة ؟
والاهل ... هل لا يزالون في النعيم رافلين او خانهم القدر فأصبحوا بالمذلة متسربلين وفي القبور المظلمة الرهيبة ثاوين .

ماتوا ! ــ ماتوا جاثين على ركبهم يضرعون الى الموت بقلوب ليخلصهم من الحياة !
ماتوا بعد ان اماتهم الشقاء مرات .
ماتوا وقلوبهم سوداء كالفحم وألسنتهم جافة كالحطب .
ذووا وسقطوا كثمر قبل اوانه وكأوراق الخريف ارتعشوا واذ قضوا وفي نفوسهم من جور الانسان على الانسان ما حارت العقول وعجزت عن ادراكه الاذهان .
ذهبوا
ذهبوا من شيوخ وعجائز وفتيان وعذارى
كلهم وكلهم بريء
لم يرتكبوا سوءا ولم يتحدثوا بالشر .
ذهبوا حاملين من الدنيا آلاما واوجاعا .
رقدوا وضمتهم ارض الوطن ، الذي احبوه حتى الموت ، فليرقدوا ، بسلام .

تلك مأساة تاريخية مثل فيها الجور دوره ايما تمثيل
تلك مجانية لوجه الله تعالى وان من الأمور المجانية في العالم فاجعات .
اجل يا اخي هكذا شاء القدر وهكذا كان ولم يبق لنا من آثار تلك المأساة غير قبور صامتة يحرسها الموت الرهيب وتظللها رهبة الأبدية فمن اين للبشر ان يزيلوا قناع الموت عن اسرار القبور ؟
لو اتيح لك الوقوف على تلك الاسرار لفقهت حينئذ كيف يكون شقاء الاوطان وجور الانسان على الانسان .
القبور صامتة لا تتكلم ولكن الآثار تدل على الشقاء الذي قاساه الاهل في الحياة فاذهب يا اخي الى الآثار
الى المنازل المتهدمة والبيوت الخاوية
سائل الأطمار البالية وسائر البقية الباقية وهي تطلعك على بعض الحقيقة الجارحة .
اما انا وانت يا اخي فقد تركنا الوطن وهجرنا الاهل وضربنا في مجاهل الارض كل مضرب على أمل ان نعمل على اعلاء الوطن واحياء الاهل .

سرنا وجددنا في السير بعد أن ملأنا صدور الاهل آمالا وكان حب الوطن يزيدنا نشاطا ومحبة الاهل تزيدنا قوة .
سرنا ورابطة الوطنية تجمع بيننـــا وروح الأخوة توحد مساعينا فما بالي الآن أرى أن الغربة تضع بيني وبينك حاجزا صلبا فلا أنت معي ولا انا معك ، لا تشعر بما بي ولا أشعر بما بك .
سرت انا وكنت التفت الى الوراء حيث تركت قوما هم لحم من لحمي ودم من دمي ، اما أنت لا تزال مجدا في سيرك كأنه لم يعد هنالك ما يهمك

!الالتفات اليه ذلّ الوطن ومات الاهل وانت لا تزال مجدا في سيرك لا تلتفت الى الوراء فهل يا ترى انقلبت المحبة التي في قلبك الى بغض ام تغيرت غاياتك من الوطنية الى الانانية ولم تعد تبالي بالوطن واهله .

اذا كان الامر كذلك فاذهب في سبيلك وسر في انانيتك فخلاص الوطن يأتي على غير يدك اما انا فأذهب في سبيلي واسير في وطنيتي وادير وجهي نحو الوطن الذي يحتاجني وأحتاجه .

وكما نادى حزقيال الرياح الاربع لتأتي وتكسو العظام الجافة عصبا ولحما كذلك ادعوها لتكسو عظام بني قومي الرميم وكمـــا تحركت تلك العظام واكتست لحما وعصبا وانتصب الميت على قدميه ، رجلا حيا كذلك سوف تتحرك عظام وطني وتكتسي لحما وعصبا فينتصب على قدميـــه ويقف بين الاوطان الحية .

بيد انني اذا كنت قد طلبت منك مرة ومرات ان تضع يدك في يدي فذلك ليس لأجلي بل لأجلك انت ولاجل الوطن والبقية الباقية من الاهل التي لا تزال تتبعنا بنواظرها من وراء البحار منتظرة منا فرجا .

اذهب في سبيلك ودعني اذهب في سبيلـــي فالـــوطن ينتظرني والاهل يترقبونني .

اذهب ولا تعد الي الا وقد غيرت ما بنفسك .

اما انا فثابت في محبتي لوطني ومقيم على عهدي لاهلي احياء كانوا ام امواتا الى النهاية .